د. عمر سليمان عبد الله الأشقر

أهل السنة والجماعة

أصحاب المنهج الأصيل والصراط المستقيم

دار النفائس

أهل السنة والجماعة

أصحاب المنهج الأصيل والصراط المستقيم

الطبعة الاولى
١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٣م

دار النفائس
للنشــــر والتوزيـــع

الاردن ـ عمان ـ العبدلي ـ مقابل جوهرة القدس
هاتف : ٤٠ ٣٩ ٦٩ ـ فاكس : ٤١ ٣٩ ٦٩ ـ ص .ب : ٢١١٥١١

الصراط
المستقيم في المفهوم القرآني

﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم، فاختلف الأحزاب
من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد
يوم عظيم ، أسمع بهم وأبصر يوم
يأتوننا لكن الظالمين اليوم في ضلال
مبين﴾ .

سورة مريم : [٣٦ـ ٣٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة القول

الحمد لله الكريم الوهاب ، صاحب الجود والأفضال ، فضلنا معاشر بني آدم على كثير من خلقه تفضيلاً ، وقوّمنا بدينه المنزل تقويّما ، وخصنا أتباع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقرآن العظيم ، والرسول الخاتم الكريم ، وهدانا بدينه ورسوله إلى الحق المبين ، وأزال عنا غشاوة الغفلة ، وأنار لنا ظلمات الكفر والشرك والمعاصي بنور الإسلام ، فله الحمد كله ، وله المنّة كلها، وله وحده التمجيد والثناء والتسبيح ، له نصلي ونسجد ، وإليه نسعى ونحفِد ، له الصلوات الطيبّات ، والتحيات المباركات ، وهو مولانا ونعم الوكيل.

ونصلي ونسلم على رسوله المجتبى ، وحبيبه المصطفى ، صاحب الرسالة الخاتمة ، والدين المحفوظ الكامل ، وصاحب المقام المحمود ، والشفاعة العظمى ، الذي أسرى به من المسجد

الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به إلى السموات العلا ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك .

وأصلي على أصحابه الأخيار وآله الأطهار الذين قوموا المعوج من نفوسهم بدين الإسلام ، وأقاموا العباد على دين الله ، وحملوا الأمانة التي أبت السموات والأرض أن تحملها ، فمضوا إلى ربهم محمودين راضين بما آتاهم ، فرضي الله عنهم وأرضاهم .

وأصلي على التابعين السائرين على الصراط المستقيم ، صراط النبيّ الكريم وخلفائه من بعده ، وعلى من اتبع مسارهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن البحث الذي أطرقه في هذا الكتاب أعد بطلب من القائمين على رابطة الشباب المسلم العربي في أمريكيا الشمالية ، وألقي في مؤتمرها الثاني عشر الذي أقيم في مدينة كنساس ستي من ٢٣ إلى ٢٨ من جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ الموافق ٢٢ إلى ٢٧ من ديسمبر ١٩٨٩ هـ وقد تأخرت طباعته لظروف أوقفت كثيراً من نشاطي السابق بعد انتقالي من الكويت إلى عمان .

وقد اختير موضوع البحث ليناسب عنوان المؤتمر ، فقد عقد

المؤتمر تحت عنوان « نحو مسيرة راشدة للعمل الإسلامي » .

والموضوع يعالج مشكلة لا يزال يتردد صداها بين العاملين بالإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، ففي هذه المرحلة الصعبة التي يعيشها العالم الإسلامي يختلف العاملون في الحقل الإسلامي ، ويزعم كل من تصدر اتجاهاً بأنّه على الطريق القويم، ويحاول جاهداً أن يغض من قيمة الطرف الآخر ، وتَلُفُّ كثيراً من الشباب الغض حيرة ، وينتابهم ذهول ، ويأتي دائماً السؤال لمن يظن أن عنده الجواب : أين السبيل ؟ والحق مع من ؟ .

إن كثيراً مما يقوله الفرقاء المتخاصمون ليس له نصيب من الصحة، ولا يثبت حين الامتحان والاختبار .

وقد جاء هذا البحث ليسهم في بيان هذه القضية ، ويكشف عما تلبس بها من زيف من الأطراف المتنازعة .

إنني لم أحاكم الأطراف المتنازعة فذلك ليس منهجي في البحث ، ولكني حاولت جاهداً أن أكشف عن المنهج الأصيل الذي يمثل الحق في هذه الأمة ، وهو منهج أهل السنة والجماعة ، وأكشف عن أصوله وخصائصه ، وأبين عدة قضايا سيكون لها أثر في كشف أمور خافية في المنهج والسبيل .

إنني لا أتعصب فيما تناولته لطائفة أو جماعة ، بل كان

رائدي تقديم النصح للجميع ، راجياً من الله الصواب في القول، طامعاً في رحمة الله وعفوه ، وبركة دعوة صالحة من عبد تقي يتقبل الله دعوته .

وفق الله العاملين بالإسلام إلى التواصي بالحق والصبر ، والتعاون على البر والتقوى ، بعيداً عن حظوظ النفس ، والتحاكم إلى الهوى، والتعادي والتدابر والتباغض .

وأملي في من يجد فيما قدمته ما يؤاخذ عليه أن لا يبخل عليّ بالنصح والتسديد ، فلعلي إن أبصرت ما بصَّرني به أن أصلح ما كان مني في طبعة قادمة ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عمر سليمان عبدالله الأشقر
كلية الشريعة ــ الجامعة
الأردنية
عمان . الأردن

المبحث الأول

المسلمون بين الاستقامة والانحراف

١ ـ حالة المسلمين في القرن الأخير

شهد الربع الأوّل من القرن العشرين انهيار بقية السور العظيم الذي كان يحمـي معـاقل الإسلام ، وأعني بذلك السور: الخلافة الإسلامية العثمانية التي تهاوت تحت مطارق الكفر ومؤامرات الأعداء الألداء والأبناء الأغبياء .

وبانهياره تحطمت آخر السدود التي كانت تحول دون الطوفان الكبير الذي أغرق العالم الإسلامي بالجيوش الجرارة التي قذف بها أعداؤنا إلى ديارنا لتقضي على بقايا القوة الإسلامية ، وتهين كرامة المسلمين ، وتخرجهم من النور إلى الظلمات ، وصحا المسلمون على صهيل خيول أعدائهم ، وقعقعة سلاحهم ، وأخذوا يقارعون جيوش الكفر ، ويحاولون

حماية أنفسهم ، ولكن أنّى للجسد الهزيل المقطع الأوصال المنهك القوى أن يقاوم القوة الجبارة التي أحاطت به من كل حدب وصوب .ولم يكتف الأعداء بماحققوه من انتصارات في ميدان الحرب والقتال ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما اغتالوا الشريعة الإسلامية ، فأبعدوها عن سياسة الأمة وقيادتها ، وأجهدوا أنفسهم في اغتيال العقيدة الإسلامية ، ولتحقيق ذلك سلكوا كل سبيل ، وزينوا للمسلمين أن يبحثوا عن علاج لمشكلاتهم في نظريات الشرق والغرب ، وكل مبدأ ضال انتجته عقول البشر ، وأبوا عليهم أن يرجعوا إلى الأصالة المتمثلة في المنهج الإسلامي .

وشهد العالم الإسلامي غب سقوط الخلافة تشتتا وضياعاً ، وسرت في أوصال الأمّة الأمراض الفكرية والعقائدية المستوردة، ومسخت الشخصية الإسلامية ، وشوهت العقيدة الإسلامية ، واحتارت السبل بأمّة الإسلام ، فلم تدر أين السبيل ولا أين الطريق .

وأقفرت كثير من ديار الإسلام وأجدبت ، فقد منعت السماء قطرها ، فجفت الحقول ، وذوت الأشجار وعصفت الرياح بالبقية الباقية من خيرات الأرض ، لقد عشنا فترة ضياع الوجهة

والهوية ، ورأينا كيف يمم الشباب في ديار الإسلام وجوههم وقلوبهم إلى ديار الكفر ومبادئه ومناهجه ، ورأينا كيف خلت المساجد من روادها ، وكيف امتلأت السينمات والمسارح ، ودور اللهو بالشبـاب الذيـن كانت تعقد عليهم الآمال لإنهاض الأمة من كبوتها .

وإمعانا بالمكر زين للشباب أن بلاء الأمّة يكمن في دينها ، فحورب الإسلام في ديار الإسلام في كل الميادين ، وأصبح الدين ورجاله موضع هزء وسخرية ، وأصبح المنادون بالعودة إلى الإسلام يعدون رجعيين ومتأخرين ، بل صنفوا في عداد المجرمين .

ولقد كانت مهمة الرواد المسلمين الذي عاشوا هذه الفترة إيقاف السقوط الكبير في مهاوي الكفر والضلال .

وذلك باشـعال جذوة الإيمان في النفـوس ، وإعادة الثقة بالإسلام ، وامداد النفوس الخاوية بماء الحياة الذي يعيد إليها رونقها وصفاءَها ، لقد كان الصراع في تلك الفترة على بقاء الإسلام أو زواله ، فالدعوة الأصيلة في تلك المرحلة كانت تهدف إلى إحياء الإيمان في نفوس المسلمين .

لقد حورب الذين نذروا أنفسهم لهذه المهمة فزج بهم في

أعماق السجون ، وعلقوا على أعواد المشانق ، ولفقت لهم التهم الباطلة ، وطوردوا في بقاع الأرض ، وعلى الرغم من البلاء والفتن والتشريد الذي تعرض له دعاة الإسلام في أرض الإسلام فإن الدعوة الإسلامية أثمرت ثماراً طيبة ، ولاقت قبولاً ، فعادت جذوة الإسلام تشتعل في النفوس من جديد ، وعاد كثير من المسلمين إلى الأصالة الإسلامية ، وعرفوا هويتهم ووجهتهم.

وأنت إذا سرت في ديار الإسلام اليوم ، ترى في ديارنا سهولاً خضراء ، وروابي وارفة الظلال ، تنبت في جنباتها الورود والرياحين، لقد بدأت الأرض تحيا من جديد ، ويعود إليها بهاؤها ورونقها ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾[1].

إذا سرت في بلادنا ترى المساجد ملأى بالشباب ، ووجهة الشباب في المدارس والجامعات ودور العلم هو الإسلام ، وكثير من جموع الأمّة بدأت رحلة العودة بعد ضياع طويل ، لقد سرى في الأمة قبس من ضياء، فأحال الظلام نوراً ، ورأى السالكون الطريق ، وحددوا الهدف والغاية .

---

(١) سورة الفتح : ٢٩

٢ ـ الفرقة والاختلاف بين العاملين بالإسلام

إلا أن العاملين بالإسلام اليوم يقعون في مأزق كبير ، يتمثل في الخلاف الذي تراه ناشبا بين العاملين بالإسلام ، وقد يكون هذا الخلاف قوياً متأججاً ، وقد يكون ضعيفاً خافتاً ، وقد يتبدى في الممارسات والبرامج ، وقد يظهر في الحوار ، وقد تكتب فيه مؤلفات ورسائل ، وقد يطرح في الصحافة والإذاعة والتلفاز .

وقادة الفكر وأهل الرأي لا يملون من التنظير والحوار والمناقشـة ، ويقع الشباب في حيرة ، وتكبر الحيرة حتى تصبح قلقاً ، وقد يتحول الحوار والنقاش إلى اتهامات ، وقد يتحول إلى أكبر من ذلك ، فقد يصبح غيبة ، وكذبا وافتراء ، وتصيداً للأخطاء، وإيذاءً باليد والرجل .

إنَّ لبَّ القضية أن كل طرف من المختلفين يزعم أنه على السداد والصواب ، وأن منهجه هو المنهج ، وطريقه هو الطريق، وبرنامجه هو البرنامج ، ومن خالفه فإنه بعيد عن الصواب ، وقد يكون هو الخطأ بعينه .

الغاية المأمولة من وراء المؤتمر

ويأتي هذا المؤتمر ليقوم بالغاية المأمولة من وراء عقده بحيث يقوم بعملية الترشيد والتوجيه لمسيرة العاملين بالإسلام ، وقد

انتدبني الأخوة القائمون على المؤتمر لأكون في طليعة المحاضرين في هذا الموضوع الخطير ، عاقدين عليَّ الأمل في أنَّ أحلَّ معضلة كبرى ، لا تزال تتردد أصداؤها في مختلف بقاع العالم الإسلامي ، بل في العالم كله حيثما وجد المسلمون ، وإنني أعلن بصراحة عدم قدرتي على حل هذا المشكل ، ولكنني سأطرح ما عندي ، فإن أصبت فبتوفيق الله ، وإلا فإنَّ هذا أحسن ما وصل إليه جهدي ، والله يغفر لي ضعفي ، وتقصيري.

٣ـ نظرة فاحصة في طبيعة الاختلاف

أحب أن أركز في البدء على أن كثيراً من النزاع غير نابع من اختلاف عقائدي ، وغير عائد إلى فقه شرعي ، وإن أُلبس لباس الدين والشرع ، وإنما هو عائد في بعضه إلى هوى متمثل في حب القيادة والزعامة لتكثير الأتباع ، فيقوم هذا النوع بحملات يقصد بها زعزعة الثقة بالآخرين ومناهجهم ، كي يحافظ هؤلاء على أتباعهم ، ويكسبون أنصاراً جدداً ، ونصيحتنا لهؤلاء أن يلجموا أنفسهم بلجام التقوى ، وأن يراقبوا الله في إخوانهم ودعوتهم ، ولا أحب أن أقف كثيراً مع هؤلاء .

وبعض النزاع نابع من اختلاف في وسائل الدعوة وطرائقها

وفي التنظيم والترتيب ، وليس اختلافا في المبادئ والأصول ، وهذا اختلاف قريب ، لا ينبغي أن يفرق صفوف العاملين ، فالحق في الوسائل لا يكون واحدا دائماً بل قد يتعدد ، والمتعدد قد يكون صواباً كله، بل إن الشارع قد يشرع الأمر الواحد متعدداً ، فلا يخطئ أي مسلم أخذ بواحد من هذا المتعدد ، كصيغ الأذان ، وصيغ التشهد والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويظلم المسلم نفسه إذا خطأ غيره في مثل هذا .

وبعض النزاع قائم في مسائل جزئية ، للاجتهاد فيها محل ، إذ دليلها غير قطعي الثبوت ، أو غير قطعي الدلالة ، ولكن الأنظار تختلف في فقه مرماه ، وتحديد معناه ، وهذا النوع من النزاع لا يجوز أن يحدث فرقة ولا خلافاً ، فإنه نوع من الاختلاف الطبيعي الذي لا يخلو البشر من مثله ، والتكليف بعدم حدوثه يوقع في الحرج والضيق ، ولم يخلو منه مجتمع الصحابة ، لا في حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا بعد وفاته .

أما النزاع والاختلاف الذي ينبغي أن يركز عليه ، والذي فيه الكلام في هذا المؤتمر فهو النزاع العقائدي ، فإنه الذي يوجد الفرقة والشقاق ، ويجلب العداوة والشحناء ، وهذا النوع من

الخلاف قد يكون جذرياً كلياً ، وقد يكون في جزئيات الأصول.

فالخلاف الكلي الجذري يمثله الرافضون لمنهج الله ودينه ، وهؤلاء هم أهل الملل من غير المسلمين ، من الشيوعيين والنصارى واليهود والبوذيين والصابئين وغيرهم من الكفار والمشركين ، وهؤلاء خارج دائرة الإسلام ، وحكمهم واضح لا لبس فيه ، فنحن وإياهم على طرفي نقيض ، وما يبدو بيننا وبينهم من اتفاق في بعض الجزئيات ليس له قيمة حقيقية ، ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ (١). ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذو عدوي وعدوكم أولياء تسرون إليهم بالمودة ﴾ (٢).

وكل من رفض دين الإسلام ، أو رفض اتباع الرسول أو كذب بواحد من أصول الاعتقاد ، وهي : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه، ورسله ، واليوم الآخر ، فإنه كافر لا شكّ في كفره ، وإن تسمى باسم المسلمين ، وزعم أنه من أهل الإيمان .

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢

(٢) سورة : الممتحنة : ١

أما الذين استجابوا لله وللرسول ، وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه ، فهؤلاء هم أهل الإسلام.

٤ـ بناء الرسول صلى الله عليه وسلم

الجيل الرباني بدين الله

وقد تمثل الإسلام في أول أمره في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن الله صاغه بالإسلام ، وأقامه على شرائع الإيمان ، وقوّمه تقويما جعل شخصيته صورة عملية للمنهج الإلهي الرباني ، وكذلك الرسل في أقوامهم يختارهم الله أفضل الناس وخيرالناس ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[١] .

ثم يقومهم بدينه المنزل ، ويصنعهم على عينه كما قال لموسى عليه السلام : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾[٢] .

وقال لمحمد –صلى الله عليه وسلم –: ﴿ ونيسرك لليسرى﴾[٣] .

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٤

(٢) سورة طه : ٣٩

(٣) سورة الأعلى : ٨

وقد أرسل جبريل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فصلى به الصلوات الخمس في يومين ، وكـان يدارسه القرآن في كل عام في رمضان مرة ، حتـى إذا كان العام الذي توفي فيه دارسـه إياه مرتين.

وربى رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين استجابوا له بمنهج الله ، حتى صحت عقائدهم ، واستقامت أفكارهم ، وخلصت نياتهم ، وصلحت أعمالهم ، فكانوا كما أحب الله ورسوله ، وكانت الكلمة تصدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتعمل عملها في نفوس الصحابة ، فتقوِّم معوجهم ، وتهدي ضالهم ، وتعيدهم إلى الصراط المستقيم .

لم يكن الصحابة ملائكة ، بل كانوا بشرا يخطئون ويصيبون، وقد يضعفون ، ولكن القرآن لاحقهم بالتوجيه والتعليم ولاحقهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتربية حتى ارتفعوا إلى مصاف الصديقين والصالحين ، وأصبحوا باستقامتهم على المنهج خير أمة أخرجت للناس بشهادة الله فيهم، وبتصريحه برضائه عنهم .

لقد مثل جيل الصحابة الحق في واقع الحياة ، فأصبح الحق محفوظا في كتاب الله وسنة رسوله من جهة ، ومتمثلاً في واقع

الحياة من جهة أخرى في جيل الصحابة ، وكثير من الناس لا يعرف الحق إلا إذا كان متمثلاً في واقع مشهود ، ولذلك كان المؤمنون الأتقياء المستقيمون على الحق شهداء على الناس ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (١) .

وقد أحدث وجود ذلك الجيل الذي تربى على منهج الله ، وصاغ حياته وفق تعاليم الإسلام هزّة كبرى في العالم الإنساني ، واستطاع في فترة وجيزه أن ينقل أعداداً كثيرة إلى الإسلام ، وسيطر الإسلامُ على أكثر المعمورة ،وهز عروش الدول الكبرى في ذلك الوقت .

ولم يتقذر الرعيل الأول من هذه الأمةـ أعني بهم جيل الصحابة ـ بشيء من قاذورات الملل الضالة والفرق الباطلة ، فقد حصنهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضد الانحرافات ومداخل الشيطان ، لقد قاوم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياته الانحرافات التي كانت تراود بعض النفوس ، أو التي كان الشيطان يوسوس بها بين الفينة والفينة ، فتأتي كلمة الحق من كتاب الله أو من فم الرسول ـ صلى الله

---

(١)سورة البقرة : ١٤٣

عليه وسلم ـ كالقذيفة تصيب الباطل في أم رأسه ، فتدمغه فإذا هو زاهق ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون ﴾[1] .

خرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على بعض أصحابه يوماً ، فوجدهم (يتنازعون في القدر ، هذا ينزع آية ، وهذا ينزع آية)فغضب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غضباً شديداً وبدا هذا في وجهه (فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال : بهذا أمرتم ، أو بهذا وكلتم ، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، انظروا ما أمرتم به فاتبعوه ، وما نهيتم عنه فاجتنبوه)[2] .

ووقف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوة وشدّة في وجه الذين أرادوا أن يغرقوا في التعبد بقيام الليل وصيام النهار ، وترك النكاح وتحريم الطيبات ، وأرشد أصحابه إلى التوازن والاعتدال .

وغضب عليه السلام غضباً شديداً عندما وقف متعالم جاهل مغرور بين يديه يعترض عليه في حكمه في الغنائم مرة ، وفي

---

(١) سورة الأنبياء : ١٨

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح : ٣٣/١٠

الصدقات أخرى ، ويقول : اعدل يا محمد ، فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم : ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل ، أيأمنني من في السماء ولا تأمنوني ، فلما ولّى ، قال : يخرج من ضِئضِئي هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية [1] .

وحذر صحابته من الفتن ، كما حذرهم من الذين يردون سنته ، وجاء القرآن يحذر الصحابة من التنازع والاختلاف ﴿ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ [2] ، ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ [3] ، وذم الذين اختلفوا في دينهم ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾[4] ، ﴿ وتقطعوا

(١) الحديث مروي هنا بالمعنى .انظر روايات الحديث في شرح النووي على مسلم : ١٤١/٧ .

(٢) سورة الروم : ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٥ .

(٤) سورة المؤمنون : ٥٣ .

أمرهم بينهم كل إلينا راجعون﴾[1] ، ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾[2] . ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ﴾[3] .

وقد وعى أصحاب رسول الله التعليمات والتوجيهات التي صدرت إليهم من ربهم ورسولهم في هذا الشأن ، كانوا حريصين على أن يمثلوا منهج الله ، ولا يحيدوا عنه ، وأن لا يختلفوا فيه ، وكانوا يسدون الثغرات التي تؤدي إلى الفرقة والنزاع وظهور الأهواء في المجتمع الإسلامي ، فحاربوا أهل الردة ومانعي الزكاة الذين أرادوا إنقاص دين الله ، وإزالة ركن من أركانه ، وجمعوا القرآن ، وجمعوا الأمّة عليه عندما رأى الصحابة بوادر اختلاف الأمّة في كتاب ربها .

وضرب عمر بن الخطاب صَبيغاً[4] بعراجين النخل على رأسه عندما رآه يبحث عن المعضلات والمشكلات في الكتاب والسنة ، وتشددوا في رواية السنة ، وأوقفوا البحث والحوار في

---

(١) سورة الأنبياء : ٩٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٦ .

(٣) الأنعام : ١٥٩

(٤) صبيغ هذا كان يدور على الصحابة يسأل عن المسائل المشكلة حتى أدبه عمر رضي الله عنه .

المسائل الفرضية التي لم تقع بعد ، ونهوا عن عضَل المسائل والتكلف في السؤال إلى غير ذلك من القواعد التي حفظت على الصحابة دينهم.

٥ـ أثر تطبيق المنهج النبوي على الإسلام وأهله

ولما كانت الأمة الإسلامية على هذا النحو ، فإنها فعلت الأفاعيل بأعداء الإسلام ، فنشرت الإسلام ، وانتقلت من نصر إلى نصر ، ولم تستطع الجيوش الجرارة ، والقوى المتقدمة أن تحدث ثلمة في بناء المسلمين المتراص ، ولو بقيت الأمة على ذلك النمط الذي وصفناه من الوحدة والاتفاق والتعاضد والتناحر فإن اجتماع جيوش الكفار كلها لا يستطيع أن يقف في وجهها ، فقد وعد الله رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن لا يسلط على أمته عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يحارب بعضهم بعضاً ، ويقتل بعضهم بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً [١] .

٦ـ ماذا فعل النزاع والاختلاف بأمّة الإسلام ؟

وبعد مضي مدة من عصر الصحابة من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقع الخلاف والنزاع بين المسلمين في المجتمع

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

الإسلامي، وأدى النزاع إلى القتال وسفك الدماء ، وكانت حرباً ضروساً أزهقت أرواحاً خيره ، وسفكت دماء طاهرة ، واستطاع المسلمون تجاوز هذه المحنة التي زلزلت المجتمع الإسلامي ، وأوجدت ثلماً في حصونه ومعاقله .

لم يكن النزاع الذي وقع في ذلك العصر نزاعاً عقائدياً أصولياً ، ولكن انبثقت عنه خلافات تحمل هذا الوصف ، ففي عام (٣٧) من الهجرة خرج من جيش عليّ خارجة كفّرت علياً ومعاوية وكل من قبل بالتحكيم بين الفريقين ، وتبلور هذا الاتجاه فيما عرف من بعد بالخوارج الذين ذهبوا إلى أن مرتكب الكبيرة كافر ، وقد كان هذا الفريق خنجراً في جنب الأمة الإسلامية ، يقوم بالثورات ، ويحارب أهل الإسلام ، ويسفك الدماء ، ويسلب الأموال ، ويسبي النساء والأطفال .

وغلت طائفة أخرى في علي بن أبي طالب ، وادعت أن عليا هو وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه أفضل الأمة بعد نبيها ، وأنه أحق بالخلافة من غيره ، وتبلور هذا التوجه في مذهب غلا في ذم الصحابة الذين قدموا الخلفاء الثلاثة على عليٍّ ، وغلا في رفع عليّ بن أبي طالب فوق منزلته ، وجعل الأمامة حقاً خالصاً لسلالة علي من بعده ، ثم لنوابهم بعد اختفاء

امامهم الثاني عشر كما يدعوون .

وفي آخر عهد الصحابة تكلم بعض الضلال في القدر وأنكروا علم الله السابق ، وزعموا أن الله لم يخلق أفعال العباد، وتبلور هذا الاتجاه في فرقة القدرية ، الذين يزعمون أنه لا قدر ، وأن الأمر أنف، وأن العباد يفعلون ما يشاؤون من غير تقدير سابق ، وقابلهم فريق آخر زعموا أن العبد مجبور على فعله ، وليس له خيار فيما يأخذ ويدع .

وفي آخر القرن الأول الهجري ظهر غيلان الدمشقي ، وقال بالإرجاء ، وزعم أن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، وأن الإيمان هو معرفة القلب ، وأن المسلمين متساوون في إيمانهم ، وزعموا أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، ولا تزيده طاعة .

وفي القرن الثاني الهجري ظهر واصل بن عطاء رأس الاعتزال، الذي ذهب إلى أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ، فلا هو مؤمن كما يقول أهل السنة والجماعة ، ولا كافر كما تقوله الخوارج، وإنما هو في منزلة بين الإيمان والكفر ، هذا في الدنيا ، أمّا في الآخرة فقد وافقوا الخوارج بالحكم عليه بالخلود في النار ، وزعم هؤلاء أن أحد فريقي الصحابة فساق

من غير تحديد ، ولهذا طعن واصل بن عطاء في عدالتهم ، ولم يقبل شهادة واحد منهم .

وظهر أيضاً في القرن الثاني الجعد بن درهم ، وأنكر صفات الله ، وزعم أن القرآن مخلوق ، وأنكر استواء الله على عرشه، وتلقى مذهبه من بعده الجهم بن صفوان ، فنُسب المذهب إليه ، وزاد الجهم على مقالة أستاذه دعواه بأن الإنسان مجبور على فعله ، وأن الإيمان هو المعرفة ، وأن الكفر هو الجهل بالله ، وقال بفناء الجنة والنار ، وظهر في القرن الثاني أيضاً مقاتل بن سليمان الذي بالغ في إثبات الصفات ، حتى أدى به ذلك إلى التجسيم وتشبيه الله بخلقه.

وزاد انتشار البدع وظهورها عندما استطاع بعض أهل هذه الفرق اقناع بعض الخلفاء ببدعهم ، وأول من دخلت عليه هذه الضلالات الخليفة المأمون سابع خلفاء بني العباس، الذي تولى الخلافة في سنة مائة وسبعين ، وكان من أفضل رجال بني العباس حزماً وعزماً وحلماً ورأيا ودهاء وشجاعة وبراعة وفصاحة وسماحة، إلا أنه كان رافضياً معتزلياً قدرياً .

« وفي سنة مائتين وإحدى عشرة أمر أن ينادي : برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير ، فإن أفضل الخلفاء بعد رسول الله ـ

صلى الله عليه وسلم ـ عليّ بن أبي طالب ، وفي سنة مائتين واثنتي عشرة أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافا إلى تفضيل علي بن أبي طالب على الشيخين ، فاشمأزت منه النفوس ، ودعا الناس إلى رأيه المعكوس ، وكادت الفتن أن تقوم على ساقها ، فكف عن ذلك إلى سنة ثماني عشرة ، فامتحن الناس بالقول بخلق القرآن ، فأجاب من أجاب طوعاً وكرهاً ، وامتنع الإمام أحمد عنه ، ومن امتنع عنه من أئمة الحديث ، وطلب المأمون الإمام أحمد ، فهلك المأمون ، ولم يره الإمام أحمد ، وكان هلاك المأمون في رجب سنة ثماني عشرة بعد المائتين»[1]

وقال الصلاح الصفدي : « زاد الشر والضرر في عهد المأمون ، وقويت به حجج المعتزلة وغيرهم وأخذ أصحاب الأهواء ومخالفو السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة ، فأدخلوها في مباحثهم ، وفرقوا بها مضايق جدالهم ، وبنوا عليها قواعد بدعهم ، فاتسع الخرق على الراقع ، وكاد منار الحق الواحد يشتبه بالثلاث الأثافي والرسوم البلاقع »[2] .

---

(١) عقيدة السفاريني : ٨/١

(٢) عقيدة السفاريني : ١٠/١

وبعد وفاة المأمون تولى المعتصم ، فامتحن الناس بالقول بخلق القرآن ، ونهض بأعباء المحنة قاضيه أحمد بن أبي دؤاد ، وضُرب الإمام أحمد ضرباً مبرحاً ، فلم يجبهم ، وناظروه فلم يقفوا أمامه في ميدان الحجاج .

وسجن المخالفون ، ومات بعض أهل العلم تحت التعذيب أو في السجون . ومضى المسلمون ، وفي كل يوم يظهر جديد من البدع، وتداخلت البدع فيما بينها ، وأصبح التراث الإسلامي يحمل في طياته مختلف هذه العقائد والتوجهات ، ولا تزال هذه العقائد والتوجهات تجد في المسلمين من يحمل لواءَها ، ويوقف حياته على نشرها ، ويقيم المدارس لمعاضدتها ، ويؤلف الكتب لتدريس مبادئها.

« ومن الذين هدموا مذهب المعتزلة بعض الذين نشؤوا على الفكر المعتزلي أمثال أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى ـ المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، وقد بقي معتزليا أربعين عاماً ، ثم رجع إلى مذهب السلف .

وعلى الرغم من اقتراب أبي الحسن الأشعري رحمه الله من مذهب السلف إلا أن المذهب الذي ينسب ـ إليه اليوم ـ لا يمثل مذهبه الذي توفى عليه ، والذي دونه في كتبه التي ألفها

آخر عمره، وكبار علماء الأشاعرة يجعلون مذهبه هو المذهب الذي كان وسطا بين مذهب المعتزلة ومذهب أهل السنة »[1] .

٧ـ لم يصل الداء إلى الجذور

على الرغم مما فعله الاختلاف بهذه الأمّة فإنه لم يُذْهِبْ هذا الدين، ولم يزله، وقد أكرم الله هذه الأمّة بأن حفظ لها دينها الذي هو عصمة أمرها بأمرين :

الأول : بحفظ كتاب الله، فلم يحدث فيه تغيير ولا تبديل على الرغم من المحاولات التي بذلت في هذا المضمار من قبل الجهلة من المسلمين والأعداء الذين يحاولون حرف مسار المسلمين .

والثاني : وجود الفئة التي تمثل الحق في عقائدها وفكرها وتصوراتها وتوجهاتها، وقد كانت هذه الفئة متمثلة في صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يعرف عن واحد من الصحابة أنه كان رأساً من رؤوس البدعة والضلال، أو أنه قال بقول من الأقوال التي نشزت وندت من بعد، فلم يكن فيهم من قال بقول الخوارج أو الشيعة أو المرجئة أو القدرية أو المعتزلة .

---

(١) نظرة في تاريخ العقيدة للمؤلف : ص ٣٢ .

يقول السفاريني رحمه الله تعالى : « اعلم أن الصحابة الكرام تنازعوا في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين ، وأكمل الأمة إيماناً بلا خلاف ، ولكن بحمد الله تعالى لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال ، فكلمتهم واحدة من أولهم إلى آخرهم »[1] .

ويقول العلامة ابن القيم : « إن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، على عقيدة واحدة ، لأنهم أدركوا زمان الوحي وشرف صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأزال عنهم ظلم الشكوك والأوهام»[2] .

وقال أيضاً : « تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين ، وأكمل الأمة إيمانا ، ولكن بحمدالله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال »[3] .

---

(١) عقيدة السفاريني : ٦/١ .

(٢) أعلام الموقعين : ٤٩/١ .

(٣) أعلام الموقعين : ٤٩/١ .

٨ـ السائرون على المنهج الأمثل بقوا ظاهرين على الحق عبر القرون

وقد أصبحت فئة الصحابة في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هم المقياس الذي يقاس به الحق على مدار التاريخ ، إذا ما تنازع الناس واختلفوا ، فإن الفرقة المتميزة صاحبة المنهج الصائب هم الذين يختطون الخطة التي كان عليها الصحابة من قبل ، ويتبعون المنهج الذي اتبعه الصحابة وساروا عليه .

وقد تلقى التابعون عن الصحابة منهجهم ومسارهم علماً وعملاً، واستمرّ هذا المنهج يتلقاه اللاحقون عن السابقين ، ويكثر أصحاب هذا المنهج أو يقلون ، ولكن لا يخلو منهم جيل أو زمان تصديقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » [١] .

وهذه الفئة التي تمثلت في جيل الصحابة وفي الأجيال التي اتبعتهم على نهجهم من بعدهم هم الذين يمثلون الخط الأصيل في هذه الأمة ، فهم ليسوا فرقة من الفرق الإسلامية أو جماعة من الجماعات ، وإنما هم أهل الحق ، وهم الجماعة ، فالجماعة في

(١) رواه مسلم في صحيحه .

الإسلام أولئك السائرون على الحق المتمسكون به ، ولو كانوا فئة قليلة ، ولا عبرة هنا بالقلة والكثرة .

وليس معنى ذلك أن وجود الطائفة المنصورة : أهل السنة والجماعة كان قليلاً ، بل هم السواد الأعظم في هذه الأمة في كل جيل وعصر ، وقد بقيت الفرق المخالفة مجموعات جزئية في الأمّة الإسلامية ، لم يستطع واحد منها أن يزاحم أهل السنة والجماعة في أن يصبح هو جماعة المسلمين .

وقد احتاج أتباع الصحابة الذين يمثلون منهجهم في كل عصر وجيل إلى الاشتغال بالنظر والاستدلال والاجتهاد وتمهيد القواعد والأصول ، وترتيب الأبواب والفصول ، وتكثير المسائل بأدلتها ، وإيراد الشبه بأجوبتها ، بسبب كثرة الوقائع والاختلاف الذي أثارته الفرق المختلفة ، ولبيان ما قعّدوه من قواعد ، حتى يظهروا الحق ، ويكشفوا الظلمة والغمة .

ونستطيع أن نقول بعد العرض الذي عرضناه فيما سبق :

بأن أهل السنة والجماعة هم الفئة التي استوعبت دين الله المنزل علماً صحيحاً ، وفقهاً سليماً ، ومثلته في واقع الحياة عملاً صائباً ، وسلوكاً سوياً ، وحكموه في مجتمعهم تحكيما عادلاً شاملاً ، وقد تحقق ذلك في الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وأصحابه في حياته ، ومثّل الصحابة هذه الفئة من بعد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمثيلاً قوياً ، ورأينا كيف صفت نفوس الصحابة ومنهجهم من كل الانحرافات العقائدية والبدع والضلالات.

ورأينا كيف قامت الانحرافات في آخرِ جيل الصحابة ، وكيف تميز عامّة المسلمين بالمنهج السويّ ، وأصبح خط الصحابة المرتبط بالكتاب والسنّة هو المَعْلَمُ الأصيل بين الفرق المختلفة على مرّ العصور، وأصبحت الخطوط الخارجه عنه هي خطوط أهل البدعة والضلالة .

فأهل السنة هم أهل الطريقة السديدة الصافية من الابتداع في دين الله ، البعيدة عن كل انحراف عقائدي ، الذين اجتمعت كلمتهم على الحق الذي جاء به الكتاب والسنة ، وكان عليه سلف الأمة من الصحابة ، ومن نهج نهجهم من التابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

ولا يعني كون أهل السنة والجماعة أصحاب الخط الأصيل أن يكونوا ملائكة أطهاراً ، أحاط كل واحد منهم بالدين كله ، وفقهه حق الفقه ، واستقام عليه تمام الاستقامة ، فقد أخبر الحقُّ أن بعض من اصطفاهم وأورثهم الكتاب ظالم لنفسه ، ومنهم

مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾[1] .

فأهل السنة والجماعة هم الفئة الممثلة للحق ، وهي تتفاوت فيما بينها في فقه دين الله المنزل ، كما تتفاوت في الاستقامة على هذا الحق .

ولا يجوز أن نخرج من إطار أهل السنة والجماعة مَنْ قَصَّر في فقه مسألة من المسائل ، أو أصابته حيرة في التعرف على قضية من القضايا .

لقد دخل على بعض أعلام الهدى من أهل السنة والجماعة جزئية من الجزئيات التي ضلت بها بعض الفرق ، فلم يخرجوه بها عن أهل السنة والجماعة ، إذا لم يتبنَّ أصل الانحراف ومنهجه ، ولكنهم لم يسكتوا عن بيان ما تلبس به من باطل الفرق الأخرى ، بل نصحوا له وبينوا زيف ما تلبس به .

---

(١) سورة فاطر : ٣٢

المبحث الثاني

الفرق بين العقيدة وضوابط العقيدة

لعله قد اتضح مما سبق أن الذين نازعونا في أصل من أصول الاعتقاد هم أهل الكفر ، كالذين يكفرون بالله أو يشركون به ، أو يكفرون باليوم الآخر ، أو يكفرون برسول من رسل الله ونبي من أنبيائه ، وقد أوجب الله على المؤمنين بغض الكافرين ، وحرم عليهم توليهم ، وإن كنا ـ مع ذلك ـ نرجوا لهم الهداية والإيمان .

أما الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، فإنهم أهل القبلة ، لا نخرجهم عن دائرة الإسلام ، وإن كانوا قد اختلفوا في فقه أصول الاعتقاد ، ولكن الاختلاف في الأصول عظيم كبير، فرّق الأمة إلى فرق كثيرة .

وأطلق على الخط الأصيل الذي يمثله الصحابة ومن جاء

بعدهم على طريقهم علماً وعملاً أهل السنة والجماعة ، وأصحاب هذا التوجه يجمعهم منهج قويم، لاتفاقهم في أصل الدين على منهج سواء .

فالفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة ـ وإن اتفقت معهم ـ في الإيمان بأصول الاعتقاد في الجملة إلا أنها تنازعهم في فقه هذه الأصول على منهج سويّ سديد.

والفرق المخالفة كانت ولا زالت تدعو أهل السنة إلى ضلالاتها وانحرافاتها ، وقد أقام علماء أهل السنة عواصم وأسواراً تحمي أهل السنة من انحرافات أهل البدع ، ولم يرتض علماء أهل السنة مهادنة أهل البدع في مجال الحجاج والحوار ، فأغلظوا لهم في القول،حتى لا يروج باطلهم على العوام ، ومن قلّ حـظه من العلم .

وهنا أمر عظيم لا بدَّ أن يتنبه إليه ، ألا وهو الفارق بين العقيدة وبين القواعد والضوابط التي وضعها علماؤنا لتميز معتقد أهل السنة ، حماية له من أن يلتبس بغيره ، ومخافة أن يضل المسلمون في باب الاعتقاد [1] .

---

(١) ذكر شيخ الإسلام كثيرا من هذه الضوابط والقواعد في كتبه ومؤلفاته ،انظر على سبيل المثال القواعد التي ذكرها في باب الأسماء

الاعتقاد هو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، وقد تكفل الكتاب والسنة بتوضيح هذه الأصول توضيحا ليس عليه من مزيد ، وبمقدار ما تتسع المعرفة والعلم بهذه الأصول يتنامى الإيمان ويزداد اليقين عند العبد المؤمن .

أما ضوابط الاعتقاد فإنها تلك القواعد المنهجية التي تعصم صاحبها من الضلال في باب الاعتقاد ، وقد وضع علماء أهل السنة والجماعة هذه القواعد في مقابل انحرافات الفرق الإسلامية في مجال الاعتقاد .

ومعرفة هذه الضوابط في غاية الأهمية ، لأنها تعصم من الانحراف في مجال الاعتقاد ، وتحصن المسلم ضد تلك الانحرافات ، وذلك الضلال الذي وقعت فيه الفرق التي تنسب إلى الإسلام ، والعلم بهذه الضوابط يعين في الرد على شبهات الخصوم ودحضها .

ومعرفة هذه الضوابط لا يحتاج إلى دراسة طويلة ووقت طويل ، فيمكن للدراس أن يحيط بها ويفقهها في جلسات ، وإن كان البحث في تفاصيلها يحتاج إلى وقت طويل ، والخوض في التفاصيل يُترك للمتخصصين في هذا المجال ، أمّا

والصفات في الرسالة التدمرية .

عموم المسلمين فتكفيهم في هذا المضمار نبذة مختصرة واضحة.

وأحب أن أقرر هنا أن هذه الضوابط والقواعد ـ مع عظيم أهميتها ـ لا يمكن أن تُوجِدَ العقيدة الحيّة النابضة الدافعة إلى العمل والجهاد والمجاهدة .

إن العقيدة التي ننشد إقرارها في أعماق النفوس وخفايا القلوب لا يمكن أن تبنيها القواعد الجافة ، والضوابط المقننة ، إن هذه الضوابط كالحائط الذي يوضع على حافة الطريق ليمنع السالكين من الخروج عن الجادة السوية ، ولكن الحواجز التي تحجز السالكين عن الانحراف لا يمكن أن تمنح السالكين القوة الدافعة التي تجعلهم ينطلقون في مسارهم بالسرعة المطلوبة .

إن الذي يوجد القوة الدافعة النابضة في أعماق النفوس لون آخر من العقيدة ، وأعني بذلك العقيدة التي تقوم على العلم الذي يسوقه القرآن والسنة في الحديث عن الله وعظمته وقدرته ورحمته وهدايته وأفعاله في خلقه .

وإذا كان العلم بضوابط الاعتقاد يكفيه نبذة واحدةِ المعالم ، فإن البحث في مجال الاعتقاد والتوسع العلمي فيه ليس له حدود ، فكلما توسع العبد في هذا المجال ازداد إيماناً ويقيناً وثباتاً،

وهذا العلم لا يقف فيه العبد عند حدّ ، فكلما علمنا منه الجديد ، دعونا الله أن يهبنا منه المزيد ، ﴿ وقل ربِّ زدني علماً ﴾ [1].

وقد نبه علماؤنا إلى هذا الفرق بين العقيدة وضوابطها يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « من شأن المصنفين في العقائد المختصرة على مذهب أهل السنة والجماعة أن يذكروا ما يتميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين ، فيذكرون إثبات الصفات ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه تعالى يرى في الآخرة خلافاً للجهمية المعتزلة وغيرهم .

ويذكرون أنه خالق أفعال العباد ، وأنه مريد لجميع الكائنات، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن خلافاً للقدرية من المعتزلة وغيرهم .

ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد ، وأن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب ، ولا يخلد في النار خلافاً للخوارج والمعتزلة ، ويحققون القول في الإيمان ، ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملا خلافاً للمرجئة ، ويذكرون إمامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم خلافا للشيعة من الرافضة

---

(١) سورة طه : ١١٤

وغيرهم»[1].

ويقول السفاريني: «سموا معرفة العقائد عن أدلتها بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح[2]، ومعظم خلافياته مع الفرق الإسلامية خصوصاً المعتزلة، لأنهم أول فرقة أسسوا الخلاف»[3].

وبيّن في موضع آخر «أننا لا نأخذ الاعتقادات الإسلامية من القواعد الكلامية، بل نأخذها من النصوص القرآنية والأخبار النبوية، وليس القصد بالأوضاع الكلامية إلا دفع شبه الخصوم والفرق الضالة»[4].

وتوسع في بيان هذا المعنى في موضع ثالث فقال: «ما ينبغي أن يعلم أن القواعد الكلامية ما رتبت هذا الترتيب، وبوبت هذا التبويب لتؤخذ منها الاعتقادات الإسلامية، والقواعد الدينية، بل المقصود منها ليس إلا دفع شبه الخصوم ودحض نهج أهل البدع والضلال، فإنهم طعنوا في بعض منها بأنه غير معقول،

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية: ص ١٤

(٢) الأولى تسمية هذا العلم بعلم الاعتقاد أو علم التوحيد أو علم أصول الدين بدلاً من علم الكلام.

(٣) عقيدة السفاريني: ١١/١

(٤) عقيدة السفاريني: ٥/١

فبين علماء السنة أن زعمهم على غاية الغلط والذهول ، فإن الأنبياء تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها ، ثم بين لهم علماء السنة بالقواعد الكلامية معقولية ما أنكروه ، وزيفوا عليهم من بدعهم الفظيعة ونزاعاتهم الشنيعة ما ابتكروا ، وإنما أخذ أهل السنة الاعتقادات ، واعتمدوا من المعتقدات على ما جاءت به من النصوص الصريحة ، والأخبار الصحيحة ، ودرج عليه سلف الأمة ، ونهج عليه أعلام من الرعيل الأول ».[1]

وإذا كان الأمر على ما بينت ، فإن مسيرة العاملين بالإسلام تحتاج إلى شيء من المراجعة والتدقيق ، فليس العقائديون هم الذين يعلمون ضوابط العقيدة وحدها، ويعنون بها عناية كبيرة، ثم يظنون أنهم حققوا المطلوب ، وأصبحوا الفئة المختارة المتميزة عن غيرها، إن معرفة الضوابط والعلم بها ـ كما قلت ـ أمر ضروري ،ولكنه لا يكفي ، والذي يجب أن تشغل به الجماعات، ويشتغل به الأفراد شغلاً كبيراً هو بناء المعرفة الواسعة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، وكما قلت من قبل : إن هذا مجال واسع رحب ، يعظم قدر العبد بمقدار ما يُحَصِّل فيه من علم .

---

(١) عقيدة السفاريني : ٧١/١

وأحب أن أنبه أيضاً في هذا الموضع إلى أن الإسلام والإيمان ليسا عقيدة فحسب ، والعقيدة إن لم تترجم إلى توجيهات وأعمال قلبية ، وبرامج عملية ، وصياغة للإنسان بمنهج الإسلام فإن العقيدة تصبح مجرد معرفة باردة ساكنة ، بل تذبل وتموت في نفس صاحبها .

إن العقيدة الحيّة النابضة تأبى أن تبقى حبيسة الصدور، بعيدة عن التمثل في واقع مشهود .

إن العقيدة الحيّة تحرك القلب وتبعثه ، فيتجه إلى ربه ومولاه ، فيخلص دينه لله ، ويكون حبه ورجاؤه واعتماده وتوكله على الله ، ويكون خوفه وخشيته ورهبته من الله ، ورغبته وقصده إلى الله ، وأفكاره تطوف دائماً حول ربّه ومنهجه ودينه ، وتحاول أن تنظر دائماً في السبل والكيفيات التي ترفع لواء الدين وتعلي مناره ، وتنشره في ربوع الأرض .

يدلك على صدق هذه النظرة أن أعظم شيء في هذا الدين هو توحيد الله عز وجل ، وتوحيد الله يقوم على أصلين عظيمين: الأول : علمي نظري . والثاني : عملي.

والتوحيد العملي : إفراد الله بالوحدانية في ذاته وصفاته وأفعاله ، فهو واحد أحد فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن

له كفواً أحد ، ليس له مثيل ولا نظير ولا شبيه ، تعالى عن الصاحبة والولد .

والتوحيد العلمي : أن يفرد العبد ربّه بالعبادة ، فيقصده وحده بعبادته ، فله يصلي ويسجد ، وإليه يسعى ويحفد ، له صلاته كلها ، ونسكه كله ، وله حياته ومماته، ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شـــريك له وبذلك أمرت وأنا أول المســـلمين﴾ (1) .

والتوحيد بأصليه يصوغ الإنسان صياغة كاملة يوائم فيها بين العقيدة المستكنة في أعماق القلوب ، وبين التوجهات والأعمال الخفية والظاهرة ، بحيث يكون الانسجام والاتفاق بعيداً عن التناقضـات التي تقـع بين معتقدات الإنسان وبين سلوكه وأعماله.

والإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان .

إن الحديث الذي أسلفته عن العقيدة وضوابطها يلقي ضوءاً على منهج أهل السنة والجماعة ، فأهل السنة والجماعة يحملون الأمانة التي أنزلها الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهم

---

(1) سورة الأنعام : ١٦٢- ١٦٣

وارثوها وحافظوها والعاملون بها ، وتزعم كثير من الفرق أنها تقوم بهذه المهمة ، فتأتي الضوابط لتحدد التوجه والمسار .

لم تكن عناية أهل السنة والجماعة مقصورة على هذه الضوابط ، وإنما الضوابط لتحديد نوعية العقيدة والتوجه، وهذا مبحث في غاية الأهمية للرواد من أبناء المسلمين ، إلا أنني أرى بعض العاملين بالإسلام عنايتهم مقصورة على هذه الضوابط، بينما العقيدة والمنهج الذي تحكمه الضوابط لا يعنى به العناية التي يستحقها ، ولا يلتفت إليه الالتفاف الذي يقتضيه مقامه .

إن الغاية التي يهدف المنهج الإسلامي إلى تحقيقها هي إقامة العباد على منهج العبودية الحقّة لله رب العالمين ، بحيث يرتبط الفرد والمجتمع بالله الواحد الأحد ، وبدينه المنزل ، ورسوله المبعوث ، ويصبح الولاء خالصاً لله وحده ، وتحقيق العبودية لله هي نقطة البداية في العمل الحركي الدعوي ، وهي نقطة الارتكاز وحجر الزاوية في العمل الفردي والجماعي.

والمسلم العامل بهذا الدين والجماعة العارفة بمنهج رب العالمين ،عليها أن تجاهد في فقه هذه العبودية ، ثم تجاهد في إقرارها في النفوس ، وفي واقع الحياة ، ويؤكد صدق هذه النظرة أن القرآن حصر الدين كلّه في هذه القضية ، ﴿ قل إنما

أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد ﴾ [1] ، ﴿ قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ [2] ودلالة الحصر في كلٍّ من الآيتين ، تجعل قوله : ﴿ إلهكم إله واحد ﴾ خلاصة مركزة وافية للوحي المنزل من عند الله .

وقد أصاب الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى عندما قرَّر أن : « لا إله إلا الله منهج حياة » .

ومع كون العبودية لله الواحد الأحد قضية واحدة، إلا أنها دائرة واسعة تشمل الدين كله ، وقد صاغ الإسلام منهجاً كاملاً لتحقيقها في حياة الفرد والجماعة ، ودائرة العبودية دائرة واضحة أبعادها ، محددة معالمها ، وتفصيل ذلك يتحقق بالعلم بالدين المنزل من رب العالمين [3] .

---

(١) سورة الكهف : ١١

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٨

(٣) انظر في هذا الموضوع كتابنا : التوحيد محور الحياة .

المبحث الثالث

أصول أهل السنة والجماعة وضوابطهم في باب الاعتقاد

بينت من قبل أن أهل السنة والجماعة ذكروا في أصولهم ومدوناتهم التي دونها ما امتازوا به عن الفرق الضالة ولم يقصدوا إلى تجلية جميع الأصول الاعتقادية ، ولذلك لم يتوسعوا في تجلية الجانب الاعتقادي بكل تفاصيله من الكتاب والسنة ، وإنما عرضوا لما وقع فيه الخلاف كي لا ينحرف المسار بأهل الإسلام فيما زل فيه المخالفون .

وقد جلّيت ـ بحمد الله وفضله ـ عقيدة الإسلام في ضوء الكتاب والسنة في سلسلة صدرت تحت عنوان «العقيدة في ضوء الكتاب والسنة» ولذلك سأقتصر هنا على ذكر الأصول والضوابط التي يذكرها علماء أهل السنة لتميزهم عن غيرهم

في الجانب الاعتقادي ، وسيكون ذكري لها على سبيل الإجمال من غير تفصيل كثير .

١ ـ تحديد دائرة الإيمان ومعرفة أهله

اختلف أهل القبلة في تحديد حقيقة الإيمان ، فذهبت المرجئة إلى أن المؤمن هو الذي يقر بقلبه بما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن لم يقرّ بذلك بلسانه ، ولم يقم بالواجبات ويترك المحذورات .

وقرر أهل السنة أن تصديق القلب هو قاعدة الإيمان بحيث يزول الإيمان بزوال الاعتقاد ، ولكنّ التصديق وحده لا يكفي ، فكثير من أهل الكفر يعتقدون صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم يرفضون الإقرار بما يعتقدون صدقه ، ففرعون وملؤه كانوا يعلمون صدق موسى ، ولكنهم جحدوا استكباراً وعلواً، وكذلك أحبار اليهود كانوا يعرفون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يعرفون آباءهم ، ولكنهم جحدوا .

إن الإيمان الذي يبقى مستكنا في القلب لا يصاحبه نطق اللسان ، ولا يصدقه الواقع العملي الذي يعيشه المسلم إيمان ضعيف ، يناقض المرء فيه اعتقاده .

لقد جرّأ المرجئة المسلمين على ارتكاب الذنوب والمعاصي

وعلى ترك الواجبات بدعوى أن الإيمان موجود في القلب ، وأن فعل القبائح وترك الملائح لا يؤثر في الإيمان، وسرت هذه المقولة عند عوام المسلمين ، فتراهم يحتجون بها عند التقصير زاعمين أن إيمانهم قويٌّ ، وهو في أعماق نفوسهم ، مع أنهم مرتكبون للمنكرات تاركون للخيرات .

وقد زعم المرجئة أن الإيمان شيء واحد لا يتفاوت فلا فرق عندهم بين أدنى المسلمين إيماناً وبين إيمان أبي بكر وعمر ، وحسبك بهذا ضلالاً وبعداً عن الحق .

٢ ـ الإيمان أصول وفروع

وذهب الخوارج إلى أن الأعمال من الإيمان ، ولكنهم قرروا في أصولهم أن الإيمان وِحْدة واحدة لا يمكن أن يتجزأ ، فإذا ذهب جزء منه فقد ذهب كله ، وبذلك كفّروا كل من ارتكب المحذورات ، وترك الواجبات .

وذهب أهل السنة والجماعة إلى أن للإيمان أصولاً وفروعاً ، وأنه لا يزول إلا بزوال أصله ، وأنَّ زوال فرعه بارتكاب المحذورات وترك الواجبات ينقص الإيمان ويشوهه ، ولكنه لا يزيله ويذهبه .

فالإيمان كالإنسان قد لا تزول منه الحياة إذا نقص منه عضو

كاليد أو الرجل أو العين أو الأذن ، فإذا خلع قلبه أو قطع رأسه زالت منه الحياة ، ولذلك قالوا في من ارتكب الكبائر من المؤمنين هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته .

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتبه على أن الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة ، وقليله يخرج الله به من النار من دخلها ، ليس كما يقوله الخارجون عن مقالة أهل السنة إنه لا يقبل التبعيض والتجزئة ، بل هو شيء واحد ، إمّا أن يحصل كله أو لا يحصل منه شيء .

وأحب أن أنبه هنا أن الذي لا يقبل التجزئة هو الاعتقاد ، فكل من كفر بأصل من أصول الاعتقاد فقد كفر بالاعتقاد كله، فمن كذب رسولاً فهو كمن كذب الرسل جميعاً ، ومن كفر بالرسل ، فقد كفر بالله .

٣ـ نصوص الوعيد عند أهل السنة

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بنصوص الوعيد ، ويمرونها كما جاءت ، ولا يعرضون لها بالتأويل ، ويحكمون نصوص الوعيد بقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (١) .

---

(١) سورة النساء : ٤٨

ولا يحكمون لواحد من المؤمنين بالجنة أو النار إلا من جاء النص عليه .

ولا يوجبون العذاب لكل من توجه إليه الوعيد ، فقد يغفر الله له بما فعله من طاعات ، أو بإنابة وتوبة ونحو ذلك .

٤ ـ منهج أهل السنة والجماعة في صفات الله وأسمائه

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ، لأن رد ما أخبر به الله ورسوله في هذا الجانب تكذيب لهما ، أضف إلى هذا أنه لا أحد أعلم بالله من الله ، ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسول الله ، فكيف يرد خبر الله وخبر رسوله في هذا .

وقد تنازع أهل القبلة في أسماء الله وصفاته ، فوضع علماء أهل السنة والجماعة قواعد ضابطة للفقه والفهم في هذا الأصل،حتى يتحدد تحديدا يظهر الحق ، وينجو المؤمن من المنزلقات التي وقعت فيها فرق الضلال ، وأهم المعالم التي وضعوها لضبط هذا الأصل هي :

١ ـ عدم تشبيه الله بشيء من مخلوقاته .

٢ ـ عدم التطلع إلى إدراك كيفية الصفات .

٣ـ عدم تعطيل الله عن شيء من صفاته ، وعدم تحريف الصفات وتأويلها .

٤ـ عدم تسمية الله باسم أو وصفه بصفة لم تأت بها النصوص ، وهذا معنى قولهم : الأسماء والصفات توقيفية .

٥ـ إثبات معاني الصفات وفق ما تفقهه العرب من كلامها .

ولمّا كان الاختلاف واضحاً بيناً بين أهلِ السنة والجماعة وبين فرق الضلال في بعض النقاط ، فقد نصّوا في عقائدهم على وجوب الإيمان بها ، كالنص على أن القرآن كلام الله ، وأن لله يدا ووجها ، وأنه استوى على العرش استواء يليق بجلاله ، ونحو ذلك[1] .

موقفهم من رؤية الله في الآخرة

ونازع بعض أهل القبلة في رؤية المؤمنين ربهم في القيامة وفي الجنة ، وأهل السنة يصدقون بذلك ، ويعتقدون صحته ، فقد صحت عندهم الأخبار بوقوعه .

---

(١) فصلنا القول في أسماء الله وصفاته في كتاب صدر بعنوان : «أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة» .

٦ـ إيمانهم بالبرزخ واليوم الآخر

وزعم الفلاسفة أن ما أخبرت به النصوص من النعيم والعذاب والحساب في القبر والقيامة والجنة والنار ليس له حقيقة، وإنما هو من باب ضرب الأمثال، أو من باب التخييل لإصلاح النفوس وتقويمها.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما جاءت به النصوص في هذا ، ويعتقدون أنه حق وصدق .

٧ـ التصديق بالشفاعة في القيامة

ونازع بعض أهل القبلة في شفاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشفاعة غيره في الآخرة ، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كله على النحو الذي جاءت به النصوص ، ولا يكذبون بشيء من ذلك .

٨ـ الإيمان بالقدر

ونازع بعض أهل القبلة في القدر ، فنفى بعضهم القدر السابق ، وادعى أن الله لم يقدر مقادير الخلائق، وأن الله غير عالم بأفعال العباد ، وغير خالق لها ، وادعى آخرون أن العبد ليس له إرادة وليس له فعل ، ففعله هو فعل الله فيه ليس غير .

وذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله عَلِمَ في الأزل ما سيكون في هذا الكون صغيره وكبيره ، وكتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن ، وأن مشيئته في عباده ماضية ، فلا يقع في كونه إلا ما يشاؤه ، وأن العباد لهم مشيئة وإرادة حقيقيتان ، ولكنهم لا يخرجون عما قدره وشاءه .

ويؤمنون بأن العباد مطالبون بمعرفة ما أمرهم به الله فيفعلوه ، وما نهاهم عنه فيجتنبوه ، ولا يجوز لهم القعود عن العمل احتجاجاً بالقدر ، كما لا يجوز لهم الاحتجاج بالقدر على فعل القبائح والمناكر (١) .

٩ ـ الإيمان بكرامات الأولياء

ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري على أيديهم من خوارق العادات ، ولا يرون كل خارق كرامة ، ذلك أن الكرامة عندهم مختصة بأهل الاستقامة.

١٠ ـ تولي جميع صحابة رسول الله وآله الكرام

وأهل السنة يحبون آل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه

---

(١) فصلنا القول في القضاء والقدر في كتاب مستقل .

وسلم ـ وصحابته الكرام ، ويعترفون لهم جميعاً بالفضل ، ولا يتولون طائفة منهم دون طائفة كما تفعل الفرق الضالة، ويترضون عنهم ، ويدعون لهم ، ولا يسبونهم ، ولايلعنونهم ، ويسفهونهم كما تفعل فرق الضلال ، ويسكتون عن المفاضلة فيما بينهم إلا فيما جاءت به النصوص ، فما قدمته قدموه ، وما سكتت عنه سكتوا عنه .

ويمسك علماء أهل السنة عما شجر بين الصحابة ، ويقولون تلك فتنة عصم الله سيوفنا من أن تتحرك فيها، فلنكف ألسنتنا عن الخوض فيها .

١١ـ إنكار المنكر والجهاد في سبيل الله

وأهل السنة والجماعة ينكرون المنكر ويأمرون بالمعروف ، ويجاهدون في سبيل الله من كفر بالله ، ويقاتلون مع كل بَرٍّ وفاجر من أئمة المسلمين .

ويرى أهل السنة قتال من خرج من أهل القبلة عن شريعة الإسلام ، وإن نطق بالشهادتين وأدى بعض فرائض الإسلام على تفصيلٍ ذكروه في كتبهم ومدوناتهم .

المبحث الرابع

المؤلفات في الاعتقاد على منهج أهل السنة والجماعة

وقد دون أفذاذ العلماء من أهل السنة والجماعة مؤلفات كثيرة في باب الاعتقاد ، وقد عنوا فيها بإبراز أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، ودللوا على صحتها من الكتاب والسنة ، وقد اقتصرت بعض المؤلفات على هذا التأصيل والتدليل .

واقتصر آخرون على إيراد البدع التي ابتدعت في مجال الاعتقاد ، وبيان عوارها وزيفها وإيراد النصوص الكاشفة لتلك البدع والضلالات .

وجمعت بعض الكتب بين المنهجين .

ويلاحظ هنا ما ذكرته من قبل أن مؤلفات علمائنا لم تتجه

إلى تجلية كل أصول الاعتقاد بتفريعاتها من الكتاب والسنة ، وإنما كان همهم إبراز الأصول التي خالفت فيها الفرق ، وبيان زيف مذاهب المخالفين لأهل السنة فيها .

وقد عنون كثير من العلماء لمؤلفاتهم في العقيدة بعنوان «السنة » ويريدون بالسنة هنا المنهج الأمثل الذي سلكه أتباع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الاعتقاد ، بعيداً عن أهل البدع والضلال .

وعنون آخرون لمدوناتهم باسم العقيدة ، وآخرون باسم «الشريعة » ، وآخرون باسم « أصول أهل السنة».

ومن أول من ألّف في هذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، فقد وصلنا من مؤلفاته رسالتان لطيفتان في هذا الموضوع عنون لإحداهما باسم « السنة » وردٌ في الأخرى على الجهمية والزنادقة .

ولابن الإمام أحمد رسالة في الاعتقاد بعنوان «السنة » أيضاً ، ومن الذين عنونوا لمؤلفهم في الاعتقاد بعنوان « السنة » الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني المتوفى عام ٢٨٧ هـ ، والكتاب مطبوع في مجلدين ،وقد خرج أحاديثه وآثاره الشيخ ناصر الدين الألباني .

وللإمام ابن خزيمة المتوفى في سنة ٣١١ هـ مجلد مطبوع في الاعتقاد عنون له باسم « كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب» .

ومن علماء أهل السنة الذين أجادوا في الرد على أهل البدع: الإمام عثمان بن سعيد الدارمي المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ، وله في ذلك كتابان الأول : كتاب الرد على الجهمية، وهو يقع في (١١٨) صفحة ، والثاني : الرد على بشر المريسي .

ومن الذين أجادوا في الرد على الجهمية الإمام البخاري صاحب الصحيح ، فله في ذلك كتاب : الرد على الجهمية ، وقد طبع مراراً .

ومن أوسع كتب الاعتقاد كتاب : « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم للحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي المتوفي سنة ٤١٨ هـ ، وكتابه مطبوع في أربعة مجلدات كبار .

وللبيهقي المحدث المتوفى سنة ٤٥٨ هـ كتاب في «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث » .وهو مطبوع في مجلد واحد .

ومن المؤلفات النافعة في العقيدة ما دونه الطحاوي رحمه الله تعالى ، وعرف فيما بعد باسم « العقيدة الطحاوية ». وقد شرح هذا الكتاب شرحا واضحاً جيداً محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي ، وقد قدر لهذا الكتاب أن ينتشر في زماننا ، انتشاراً واسعاً ، وانتفع به العلماء وطلبة العلم كثيراً .

وفارس التأليف في علم الاعتقاد الذي لا يشق له غبار هو الحبر العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية ، فإنه جلى هذا العلم ورتبه وقعده ، وأتى فيه بالعجب العجاب ، ومؤلفاته فيها منها الصغير ، ومنها الكبير ، ومنها المطول، ومن طالع مجموع فتاويه التي جمعها ابن قاسم وطبعت في أكثر من ثلاثين مجلداً رأى المساحة الواسعة التي تشغلها بحوث الاعتقاد فيها .

وقد ألّف جمع من العلماء في العصور الأخيرة مؤلفات قيمة في الاعتقاد على منهج أهل السنة والجماعة، فمن هؤلاء الشيخ محمد بن أحمد السفاريني له عقيدة عرفت باسمه ، وكان قد سماها باسم : « لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية » .

ولمحمد بن إسماعيل الأمير الشهير بالصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢ هـ رسالة صغيرة مفيدة سماها بـ « تطهير الاعتقاد عن

أدران الشرك والإلحاد » .

ولصديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ - وهو أحد علماء الهند وملوكها - مؤلف في مجلدين سماه : « الدين الخالص » .

وكل ما ذكرته من المؤلفات فهو مطبوع . والمؤلفات غير ما ذكرته كثيرة ، منها المطبوع ، ومنها المخطوط .

المبحث الخامس

خصائص منهج أهل السنة والجماعة ومميزاته

أشرت أثناء العرض السابق إلى بعض المميزات التي اتسم بها منهج أهل السنة والجماعة ، ولكن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من الإيضاح والبيان .

أولاً :

إدراكهم حقيقة الهدف العظيم الذي يجب أن يعنى به علما وعملاً

وقد اسلفت القول في هذا الموضوع ، فالهدف الكبير الذي خلق البشر من أجله ، ومن أجله أنزل الله الكتب ، وبعث الرسل هو إقامة العباد على منهج العبودية لله الواحد الأحد ،

وهذا الأصل العظيم هو أول دعوة الرسل وآخرها وجذرها وسنامها ، وهو الصبغة والإطار الذي يحكم الدين كله .

ولذلك اتجه الصحابة ومن سار على دربهم إلى العناية بهذا الأصل وتجليته ، وبيان ما ناقضه من الشرك والكفر والرياء ، ولا يحقق المسلم العبودية لله إلا بإخلاص الدين لرب العالمين ، وهذا هو التوحيد الذي لا يقبل الله أحداً لم يحققه .

والذين يقصِّرون في العناية بهذا الأصل فإنهم لم يعرفوا دين الله حق المعرفة .

وهذا الأصل هو الحاكم لكل التوجهات الفكرية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية ، ولذا فإن الذين يَقْصُرُونَ البحث فيه على الجانب الاعتقادي فحسب لم يفقهوا سعة هذا الدين وشموله وكماله ، إن هذا الأصل يتسع حتى يشمل الدين كله ، ويحكم الحياة كلها .

ثانياً :

الاقتصار على الكتاب والسنة في التعرف على الحق

وهذا المنهج يقضي بأن يتفرد وحده في صياغة الفرد والأمة، ولا يشاب بضلالات الأمم السابقة ، ونظريات الأمم اللاحقة ،

فالدين كامل واف بالغرض بشهادة أصدق الصادقين ، ومزاحمة المناهج الأخرى للإسلام في المهمة التي أنزل الإسلام من أجلها يفقد الإسلام صفاءه وقدرته على التزكية والتوجيه والإصلاح .

لقد كان المنهج القرآني الإيماني النبوي القائم على أصل الأصول ، وهو الإيمان بالله عند الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان هو الذي يقوّم الحياة الإنسانية ويصلحها ، وهو المنهج الذي نذر أهل السنة والجماعةأنفسهم لإعلاء مناره ورفع لوائه ، ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾[1] .

وكل المناهج التي تسود العالم اليوم لا تصلح لأن تقيم الحياة البشرية على منهج سواء ، لأنها ثمرات العقول البشرية ، وما كان منها وحي سماوي فإنه حرّف وغيّر وبدّل .

فكتب الفلسفة منذ القديم تحاول أن تضرب بسهم في هذا الميدان ، ولكنها لا تستطيع أن تقدم المنهج القويم ، فكل ما انتجته الفلسفة هوثمار العقول البشرية التي تتصف بالقصور والنقص والجهل ، وقد عانى المسلمون كثيراً من الكتب الفلسفية المترجمة ، وقد أفسدت على المسلمين كثيرا ، يقول

---

(١) سورة البقرة : ١٩٣

السفاريني : « قال العلماء إن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى ـ أظنه صاحب قبرص ـ طلب منه خزائن كتب اليونان ، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد ، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي، فاستشارهم في ذلك ، فكلهم أشار بعدم تجهيزها إليه إلا مطراناً واحداً ، فإنه قال: جهزها إليهم ، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها ، وأوقعت بين علمائها »[1] .

لقد وقع الفلاسفة قديماً وحديثاً في الكفر والشرك، واحتارت بهم السبل ، حتى أنكر بعضهم الموجودات والمحسوسات.

أما الكتب السماوية التي كانت تملك خاصية إصلاح النفوس والمجتمعات فقد حرِّفت وغيِّرت ، وفقدت خاصية المنهج الرباني ، ثم إن الله نسخها بشريعة القرآن .

ثالثاً : عدم التقديم بين يدي الله ورسوله

على المسلم أن يأخذ دينه ومنهجه وشريعته من دين الله عز وجل ، ولا يجوز له أن يقدم على كلام الله وكلام رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأياً أو حكماً أو قياساً أو تشريعاً ، ولا

---

(١) لوامع الأنوار البهية : ٩/١ .

يجوز أن يعارض دين الله بنتاج العقول الإنسانية مهما كان مركز أصحابها وذكاؤهم وفطنتهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾[1].

والتقديم بين يدي الله ورسوله تقديم الأقوال والآراء والنظريات والفلسفات على كلام الله ورسوله.

وقد خالف كثير من أهل الإسلام هذا النهج في مجالات كثيرة:

١ـ فأهل الكلام حكّموا العقل في قضايا الشرع وأمور العقيدة، وردوا منها ما ادعوا مخالفته للعقل، فقد نفى بعضهم أسماء الله وصفاته، وآخرون أنكروا عذاب القبر وفتنته، ونفى بعضهم رؤية الله في الآخرة، وردوا بذلك النصوص الصحيحة، بدعوى أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل، وأي تقديم أعظم من هذا التقديم بين يدي الله ورسوله.

وقد أدى بهم هذا النهج إلى الطعن في حملة السنة ورواتها من الصحابة والتابعين، بل ذهبوا إلى أعظم من هذا، فهذا عمرو بن عبيد يقول في حديث لم يَرُقْ له، ولم يستوعبه عقله

(١) سورة الممتحنة: ١.

الضعيف : « لو سمعته من الأعمش لكذبته ، ولو سمعت زيد بن وهب [1] يقول هذا ما أجبته ، ولو سمعت رسول الله يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت له : ليس على هذا أخذت ميثاقنا » [2] .

والحق الذي يجب الإقرار به أن كل الفرق المخالفة لمنهج السلف غلت في تقدير العقل ،وقدمت حكمه على الشرع، واستعملت الموازين والمقاييس العقلية في محاكمة القضايا الغيبية، وابتعدت هذه الفرق عن الكتاب والسنة بنسب متفاوتة[3].

٢ـ وقدم المسلمون اليوم شرائع البشر على شريعة الله، فحكموا القوانين الوضعية في رقاب المسلمين ومشكلاتهم ، وكل ذلك من التقديم بين يدي الله ورسوله ، لقد كان القرآن صريحاً في هذا المسألة ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ [4]

---

(١) الأعمش وابن وهب راويان من رواة الحديث الذي كذب به عمرو .

(٢) تاريخ بغداد : ١٧٢/١٢ .

(٣) نظرة في تاريخ العقيدة للمؤلف : ص ٣٣ .

(٤) سورة النور : ٥٤ .

﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [1] .

وطاعة غير الله إنما تكون في دائرة المباح الذي لم يحرمه الله، ولم يوجبه، وهي دائرة العفو ، أو في دائرة تطبيق المنهج في واقع الحياة .

أما الأمر أو الشرع المضاد لشرع الله وأمره ، فلا قيمة له عند المسلم ، ولا يجوز طاعته ، بل تجب معارضته ومقاومته ، فقد أمر الله بطاعة الوالدين بعد بيان فضلهما ، ثم قال : ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ [2] .

وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

إن العقول البشرية والبصائر النفسية لا ينتفع بها أصحابها نفعاً صحيحاً بعيداً عن وحي السماء ، فعلماؤنا يقرّرون أن العقل مع الشرع ، كالبصر مع ضوء الشمس، وضوء المصباح ، فالمبصر لا ينتفع ببصره إلا في وجود النور ، وصاحب البصيرة والعقل إذا غاب عنه ضوء الشريعة قلّماً ينتفع بعقله وبصيرته: ﴿فإنها لا

---

(١) سورة الأنفال : ٢٤ .

(٢) سورة لقمان : ١٥ .

تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [1] .

رابعاً : اتباعهم للمنهج القرآني النبوي في العلم والمعرفة

أصل العلم ومبدؤه عندهم هو العلم بالله تبارك وتعالى ، ومن العلم بالله تتشعب أنواع العلوم ، فالعلم بالله أعظم سبيل لمعرفة الله ، ومعرفة الحياة والأشياء ومعرفة النفس الإنسانية .

يقول ابن أبي حاتم : « عرفنا كل شيء بالله ، وسئل ابن عباس: بم عرفت ربك ؟ فقال : أعرفه بما عرّف به نفسه ، وأصفه بما وصف به نفسه » .

وهذا الطريق إلى معرفة الله ، ومعرفة أصل الحياة والإنسان ، ومعرفة الغاية والهدف طريق مأمون العاقبة ، محمود المسار ، فالله هو العليم الخبير الخالق للإنسان وللكون الذي يعيش فيه ، ولذا فإنه يعطي علماً غير مظنون ، وحكما غير مطعون فيه .

وقد فقه علماؤنا هذا النهج والتزموا به ، فالبخاري ابتدأ كتابه الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري ، وهو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى بأصل العلم والإيمان وهو « بدء نزول

---

(١) سورة الحج : ٤٦ .

الوحي »، فأخبر أولا عن صفة نزول العلم والإيمان على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ أتبعه بكتاب الإيمان الذي هو الإقرار بما جاء به ، ثم بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به ، فرتبه الترتيب الحقيقي الذي يدل على علمه وحكمته رحمه الله تعالى.

وكثير من الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة لا يَدْعُون في أول الأمر إلى العلم بالله عن طريق ما جاء الله به ، وإنما يدعون إلى الشك أو النظر ، ونقطة البداية عند كثير من الفرق ، ومنهم الفلاسفة ، البحث في النفس الإنسانية ، فيجعلون دراستها الأصل الذي يبنون عليه ، ويفرعون عنه ، وتكلموا في إدراكهم العلم ، وأنه تارة يكون بالحس ، وتارة يكون بالعقل ، وتارة بهما.

وجعل هؤلاء العلوم الحسيّة والبدهية ونحوها الأصل الذي لا يحصل العلم إلا بها.

وكثير من المصنفين في الفلسفة يبدأ بدراسة المنطق ثم الطبيعي والرياضي ، ثم ينتقل إلى العلم الإلهي ، فتجد كثيراً من المصنفين في علم الكلام يبدأ تأليفه بالكلام على النظر والعلم والدليل ، ثم ينتقلون إلى حدوث العالم وإثبات محدثه ، ثم ينتقل

بعضهم إلى تقسيم المعلوم إلى موجود ومعدوم ، ثم يتكلم على أقسام الموجودات والمعدومات .

ولقد تاه أصحاب المناهج والمذاهب التي خالفت النهج الإيماني القرآني النبوي في باب المعرفة والعلم في صحراء شاسعة مترامية الأطراف ، فلم يجدوا بعد طول البحث والنظر إلا الحيرة والشك ، ومات كثير منهم وهو ينوح على نفسه ، لأنه لم يجد برد اليقين ، ولم يدرك الغاية التي ينشدها من وراء البحث والتقصي [1] .

إن الإسلام جاء لتخليص البشر من الضلال الفكري والعلمي ، كما يخلصهم من الضلال العملي والسلوكي، والذين ذهبوا بعيداً عن المنهج العلمي الذي جاء به الإسلام ظلموا أنفسهم ، لأنهم أبوا إلا أن يعتمدوا على عقولهم فيما لا تستطيع عقولهم تحصيله والوصول إليه .

---

(١) أوردت في كتابي : « نظرة في تاريخ العقيدة » ص ١٠ بعض كلام الذين تاهوا في هذا الميدان كالرازي والشهرستاني والجويني فارجع إليه إن شئت .

خامسا : التوسط والاعتدال

يجنح البشر في كثير من الأحيان إلى التطرف فيما يعتقدون، وفي أحكامهم وتوجهاتهم ، وصفة المنهج الحق أنه دائماً وسط بين باطلين ، فالإسلام وسط بين الأديان ، والأمة الإسلامية وسط بين أهل الملل ، وأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق .

لقد تطرف الخوارج في الحكم على العصاة من أهل الكبائر فكفروهم ، وأخرجوهم من دائرة الإسلام ، وتطرفت المرجئة فعدوهم في قمة التقى والصلاح ، وتوسط أهل السنة في أمرهم ، فعدوهم مسلمين مؤمنين ، ولكن في إيمانهم نقصاً وتشوها ، ولذلك قالوا في الفاسق : هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته .

وغلت بعض الفرق فزعمت أن العبد مجبور على فعله ، فهو كالريشة في مهب الريح لا يملك حولاً ولا طولاً ، وليس له إرادة تصدر عنها الأقوال والأفعال ، وغلت طائفة أخرى زعمت أن لا قدر ، وأن العبد يخلق فعله ، وتوسط أهل السنة عندما قالوا إن للعبد اختياراً ، ولكنه لا يخرج عن دائرة المشيئة الإلهية على حد قوله تعالى : ﴿ وما تشاؤون إلا أن

يشاء الله﴾[1] .

وتطرفت طائفة نفت عن الله أسماءه وصفاته ، وتطرفت طائفة أخرى شبهت الله بخلقه ، وتوسط أهل السنة والجماعة ، فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل .

وغلت طائفة أخرى في علي بن أبي طالب ، فزعمت أنه أفضل الصحابة ، وأنه وَصِيّ رسول الله نص الله على إمامته ، وأن الإمامة من بعده محصورة في أبنائه ، وغلت فيه وفي الأئمة من أبنائه حيث رفعتهم إلى مرتبة النبوة ، وزعمت فيهم ما ليس فيهم ، وقررت أن الامامة على النحو الذي قرروه أصل من أصول الإيمان ، لا يتم الإيمان إلا به .

وغلا هذا الفريق في صحابة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاعتبروهم خونة ، لأنهم ولوا الخلافة من لا يستحقها ، وكذبوا بالسنة التي وردت عن طريقهم .

وغلت طائفة أخرى فسبت علياً وتحاملت عليه .

وتوسط أهل السنة والجماعة ، فتولوا جميع صحابة رسول

---

(١) سورة الإنسان : ٣٠

الله صلى الله عليه وسلم ، وصانوا ألسنتهم عن الطعن فيهم ، ودعوا لهم بالمغفرة والرحمة ، وقبلوا ما نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورتبوا الصحابة في الفضل وفق ما نصت عليه الأحاديث ، وسكتوا عمن لم تُحَدِّدْ النصوص مرتبته .

يقول السفاريني رحمه الله تعالى ـ في أهل السنة والجماعة: « هم وسط في باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية ، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم ، وفي باب الإيمان بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية ، وفي أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الرافضة والخوارج »[1] .

---

(١) عقيدة السفاريني : ١٩/١

سادساً : الاتفاق على الحق والدعوة إلى الوحدة

وأهل السنة والجماعة يعرفون الحق ، ويدعون إليه، فهم دعاة وحدة لا دعاة فرقة ، ولكنها وحدة تقوم على أصول ، فلا يدعون إلى نسف الحواجز التي تقوم بينهم وبين الفرق الضالة ، لأن الضوابط والقواعد والأصول التي يتبعونها تميزهم عن الفرق الضالة ، وتظهر أصالتهم ونصاعة منهجهم .

ولا يخرجون من إطار أهل السنة والجماعة العصاة المذنبين ، ولا يخرجون من أخطأ في جزئية من جزئيات المنهج ، ما دام ملتزما بالمنهج على وجه العموم .

والناس اليوم طرفان ووسط ، فالطرف الأول الذي يريد أن يلغي كل فارق بين الفرق الإسلامية وأهل السنة، والطرف الثاني الذي يخرج من إطار أهل السنة كل من عرف بزلة في المنهج العلمي أو العملي.

والأصل الالتزام بالحق والدعوة إلى الوحدة في ضوء الأصول والضوابط التي قعّدها علماء أهل السنة والجماعة من قبل .

سابعاً : الحكم على الناس بالعدل

ومن أصولهم الحكم على الناس بالعدل ، فلا يخرجون من دائرة الإسلام إلا من كفر بمعلوم من الدين بالضرورة بعد أن تقام عليه الحجة ، حتى الفرق المناوئة لهم لم يبادروا إلى تكفيرهم وإخراجهم من دائرة الإسلام ، فلم يقاتلوا الخوارج على الرغم من تكفير الخوارج لمن خالفهم حتى سفك الخوارج دماء المسلمين ، واستباحوا حرماتهم .

ولم يكفّروا العصاة من أهل السنة ، فقد نصّ الحق ـ تبارك وتعالى ـ على أن الفئة الخيرة المصطفاة، منها المقتصد الذي يقتصر على فعل الواجبات وترك المحرمات، ومنها الظالم لنفسه بالذنوب والمعاصي ، ومنها السابق بالخيرات ، الذي أكثر من المستحبات بجانب أخذه بالفرائض والواجبات .

ولكن الأصناف الثلاثة داخلون في الفئة المختارة المصطفاة ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنه سابق بالخيرات﴾[1] .

---

(١) سورة فاطر : ٣٢

ثامناً : أسلوب تناول العقيدة وطريقة الاستدلال

الأسلوب الذي يستعمله علماء أهل السنة والجماعة في الحديث عن العقائد وتقعيد القواعد أسلوب القرآن الكريم ، وهذا أسلوب عربي مبين ، خال من الجفاف والتعقيد والمصطلحات الكلامية والفلسفية ، وهذا الأسلوب كما يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : أسلوب يمتاز بالحيوية والإيقاع ، واللمسة المباشرة والإيحاء : الإيحاء بالحقائق الكبيرة التي لا تتمثل كلها في العبارة وحدها ، بل توحي بها العبارة .

وهذا الأسلوب يخاطب الكينونة الإنسانية بكل جوانبها وطاقاتها ومنافذ المعرفة فيها ، ولا يخاطب الفكر وحده في الكائن البشري كما هو الحال في كتب الفلسفة وعلماء الكلام.

إن الأسلوب الذي صيغت به كتب الفلسفة وعلم الكلام لا يصلح لعرض العقيدة الإسلامية ، فإنه أسلوب يحاول حصر الحقيقة في العبارة ، وهو أسلوب يقتل العقيدة ، ويطفئ إشعاعها وإيحائها ، ويقصرها على جانب واحد من جوانب الكينونة الإنسانية.

إن الأسلوب الذي صاغ به القرآن العقيدة الإسلامية ، واتبعه علماء أهل السنة من بعد ذلك يتسم بالبساطة والوضوح،ويجعل إدراك العقيدة سهلاً ميسراً لكافة المستويات من الناس على اختلاف مداركهم وفطرهم ، أخذ كل حسب طاقته من التفكير والإقناع ، بخلاف تلك الأساليب الفلسفية والكلامية المعقدة الممتلئة بالمصطلحات ، إذ لا يدرك محتوياتها إلا القليل من الناس [١] .

أما منهج علماء أهل السنة والجماعة في الاستدلال فهو منهج نابع من المنهج القرآني النبوي الذي يتسم بأنه منهج فطري قريب المأخذ ، فالقرآن مثلاً يستدل بالآيات نفسها على وجود صانعها ، من غير احتياج إلى إقامة الأقيسة التي أقامها المتكلمون للاستدلال على حدوث العالم ، فالعلم بكون هذه العوالم مخلوقة مربوبة أمر فطري لا يحتاج إلى إقامة دليل وبرهان ، فالإنسان يعلم بفطرته أن هذا الكون الذي يراه فقير إلى الخالق ، مقهور مربوب ، وهذا لا يحتاج إلى الأقيسة التي أقاموها كي نعلم حدوث العالم وأن له محدثاً .

والقرآن أورد من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم

---

(١) راجع في هذا خصائص التصور الإسلامي لسيد قطب : ص ١٦.

بالله ووحدانيته ما لا يقدر أحد قدره ، ونهاية ما يذكره المتكلمون جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه، وذلك كالأمثال المضروبة التي يذكرها الله في كتابه التي قال الله فيها ﴿ ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ﴾ [1] .

والأدلة العقلية التي استفادها علماء أهل السنة من كتاب الله ونسجوا على منوالها في الحجاج والاستدلال كلها لائقة بجلال الله وكماله ، فلم يستعملوا قياس الشمول ،ولا قياس التمثيل الذي يستوي أفراده في حق الخالق جل وعلا ، لأنه يلزم منهما تسوية الخالق بالمخلوق.

وإنما يستعمل في حقه ـ تبارك وتعالى ـ قياس الأولى الذي مضمونه أنّ كلّ كمال وجودي غير مستلزم للعدم ولا للنقص بوجه من الوجوه اتصف المخلوق به، فالخالق أولى أن يتصف به ، لأنه هو الذي وهب المخلوق ذلك الكمال ، ولأنه لو لم يتصف بذلك الكمال مع إمكان أن يتصف به لكان في الممكنات من هو أكمل منه وهو محال ﴿ ولله المثل الأعلى﴾[2] .

وكل نقص ينزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه .

---

(١) سورة الكهف : ٥٤

(٢) سورة النحل : ٦٠

ويلاحظ أن الأدلة العقلية الكلامية والفلسفية أكثرها ضعيف لا ينهض للاستدلال على المطلوب ، وضعف الدليل الذي يستدل به على الحق يؤدي إلى كثرة الشك والاضطراب والحيرة، بل قد يؤدي إلى ردّ الحق ، إذ يسهل على الخصم بيان عوار الدليل ، فإذا ردّه ردّ الحق مع أن الحق قوي في ذاته ، والضعف إنما هو في الدليل الموصل إليه .

لأجل ذلك نجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول ، وجزماً بالقول في موضع وبنقيضه في موضع آخر ، بل يكفرون بقول ما ، وهم ممن قال به في موضع آخر.

بخلاف الأدلة التي استفادها أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة ، فإنها تدل على الحق بأبلغ عبارة وأوجزها،وأصحابها مستقرون عليها آخذون بها ، لا يتلجلجون، ولا يضطربون [١] .

ويلاحظ أن بعض أدلة المتكلمين يلزم منها لوازم باطلة، فقد نفوا ما قرره القرآن من كون الله في السماء، وأنه يُرى في الآخرة بدعوى أنه يلزم من إثبات ذلك أن يكون في جهة ، ونفوا ذلك بحجة أن الذي في جهة يكون متحيزاً ، مع أن

---

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٤/٥٠

النصوص قد دلت دلالة صريحة على كونه في السماء ، ونفت النصوص الباطل الذي لزم دليلهم ، فالسماء لا تحويه جل وعلا ، وإنما المراد من كونه في السماء أنه في العلو .

خاتمة

الجماعات الإسلامية ليست فرقاً اعتقادية

في كلمة الختام أحب أن أوضح بأن منهج أهل السنة والجماعة اليوم لا يزال واضحاً بيِّنَ المعالم ، وأتباعه موجودون في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه ، وهم متفاوتون في فقه المنهج والعمل به ، والاستقامة عليه ، ولا يزال لبعض الفرق الضالة وجود ظاهر ، وبعضهم نشط في بيان مذهبه والدعوة إليه بشتى الوسائل والسبل، وبعض تلك المذاهب قد اندثر وزال ، ولم يبق منه إلا أفكار أصحابه وآرائهم ، ولكن لا يوجد له أتباع يمثلون فرقه .

وقد جدّ على أهل السنة اليوم أمر لم يكن له مثيل في العالم الإسلامي من قبل ، فقد زال سلطان الإسلام وحكمه عن ديار الإسلام ، وحكمت أكثر هذه الديار بشرائع وضعية مضادة ومحادة للشريعة ، ولا توجد للمسلمين دولة تحمي وجودهم ، وتدافع عن إسلامهم وعقيدتهم ، وتنشر الإسلام في مشارق

الأرض ومغاربها، فقام بعض الدعاة بالدعوة إلى تجمع المسلمين على الإسلام في مواجهة دعوات الكفر والزندقة التي تريد اغتيال عقيدة المسلمين وشريعتهم، واستجاب لكل داعية فئات من المسلمين ، قد يقلون وقد يكثرون ، وكان لهذه التجمعات أثر واضح في تقريب المسلمين إلى دينهم ، وتقوية بنيانهم ، وغسل أدرانهم ، وإصلاح ذات بينهم ، وإعادة ثقتهم بدينهم وشريعتهم .

وقد قام بعض الذين ينسبون إلى العلم والدعوة منادين بخطورة التجمع والجماعات زاعمين أن ذلك غير مشروع ، مدعين أن هذه الجماعات فرق جديدة، كالخوارج والمرجئة والمعتزلة ، وأبرز السالكون لهذا السبيل ، السلبيات والأخطاء التي أظهرها نشوء هذه الجماعات .

وأنا أوافق هؤلاء الأفاضل في أنَّ الخط العقائدي يجب أن يكون واضحاً ظاهراً في العمل الفردي والجماعي ، وأوافقهم على أنه لا يجوز مجاملة الفرق الضالة ، وذلك بالالتقاء في نقطة وسط بيننا وبينهم .

ولكني اختلف معهم اختلافا بينا في عدِّ الجماعات القائمة في ديار أهل السنة فرقاً ضالة .

إن الجماعات التي تتبنى الخط العقائدي لأهل السنة، وتسير على منهج أهل السنة ، ولا ترضى بالانتساب إلى أي فرقة من فرق الضلال هي جزء من أهل السنة .

فإن قيل فلم هذه التسميات والتجمعات ؟ فالجواب أن هذه الجماعات لم تنشئ مذهباً عقائدياً جديداً،ولم تخالف أهل السنة في منهجهم ، ولكنها قامت لتحقيق واجب عظيم ، وأمر خطير هو إعلاء منار الإسلام حتى يكون الدين لله ، وتكون الشريعة هي الحاكمة ، ولّما كان هذا لا يتم إلا بجماعة متعاونة متكاتفة كان قيام الجماعة واجباً وجوب الوسائل لتحقيق الغايات، وإلا فكيف يتم الوقوف في وجه الشيوعيين والزنادقة الباطنية الذين حاولوا اغتيال دين الأمة وعقيدتها ، وتسلموا الحكم في كثير من بقاع الإسلام ، وكيف يمكن للجهود الفردية أن توقف الطغيان الكبير للشر والفساد في بلاد الإسلام.

فإن قيل : فلم الجماعات إذن ؟ ولم لا تكون جماعة واحدة؟ فالجواب أن الدعاة والعلماء يختلفون في تحديد الوسائل التي يسلكونها دفاعاً عن الإسلام وأهله ، والبرامج التي يطرحونها لإعادة مجد الإسلام وإعلاء مناره ، والتعدد ليس خطأً دائماً ، فقد يكون المتعدد كله صواباً .

ليس معنى ذلك أن ما تتبناه الجماعات من آراء وأفكار وتصورات صحيح كله ، فالجماعات كالأفراد فيها الغث والسمين ، والصحيح والخاطئ ، ومهمة الدعاة وأهل الرأي تقويم المسار ، وتسديد الاتجاه .

ولا شك أن للجماعات القائمة في العالم الإسلامي اليوم سلبياتها كما لها إيجابياتها ، ولا شكّ أنها تتفاوت في الاقتراب والابتعاد عن المنهج الحق ، ولكن هذا أمر طبيعي ، فالمسلمون من أهل السنة لا يمكن أن يكونوا على درجة واحدة من الفقه والفهم والتصور السليم السوي .

إنني أعيد وأزيد بأن الجماعات اليوم ليست فرقاً عقائدية جديدة ، جاءتنا ببدعة جديدة ومنهج جديد ، ولكنها جماعات تداعى إلى كل واحد منها أفراد للتعاون على إقامة معروف أو إبطال منكر ، وأعظم معروف هو المناداة بتحكيم شرع الله ، والمجاهدة في هذا السبيل ، ومطالبة المسلمين بتحقيقه .

وبعض هذه الجماعات عنيت بالدعوة ، وآخرون بالعلم ، وفريق ثالث بمشكلات المجتمع ، وبعضها اتصف بالشمول والتوازن أكثر من غيره ، وكل جماعة سدّت ثغراً ونفعت في جانب من الجوانب .

والذين ينادون بهدم التجمع في ظل الإسلام وفي إطار عقيدة أهل السنة ومنهجهم يغمضون عن الحال المؤلمة التي يعيشها المسلمون اليوم ، ويطالبون المسلمين أن يواجهوا كيانات الكفر وتجمعاته بالجهود الفردية المبعثرة ، وأنى للقوى المبعثرة أن تقف في وجه القوى المتماسكة المتجمعة المنظمة !!

أنا أتفق مع الذين يرون أن لا حاجة بالمسلمين إلى تجمعات إذا قامت دولة الإسلام التي توجه طاقات المسلمين إلى كل مجال من مجالات الخير ، بحيث تستوعب طاقاتهم في مختلف الأعمال التي تطالب الشريعة بإنشائها ، ولكن قبل أن يتحقق ذلك لا غنى للمسلمين عن أن يكون لهم وجود حتى لا تندثر البقية الباقية من وجودهم .

وكلمة أخيرة أوجهها للجماعات الإسلامية القائمة اليوم منادية بإقامة الدين وإعلاء مناره فأقول : صححوا مناهجكم في ضوء العقيدة الإسلامية الصافية ، واضبطوا ذلك بالضوابط والقواعد التي حكمت عقيدة أهل السنة والجماعة ، حاولوا دائماً أن تُقَوِّموا وتُنَقُّوا وتنظفوا أنفسكم ومناهجكم ، وبذلك تتقارب صفوفكم ، وتتحد قلوبكم .

ودعوة أخرى يحبها لكم كل مسلم منصف وهو أن تتحدوا

على كلمة سواء ، فإن لم تقدروا على ذلك فلا أقل من أن تتقاربوا ، وتتفاهموا وتزيلوا سوء الظن ، ولا يمنعكم ذلك من التحاور والتناصح في ظلال الأُخوة الإسلامية ، فإن من الظلم أن يزعم كل فريق من أتباع المنهج الواحد أنه وحده على الحق وأن الآخرين على ضلال مع اتفاق الجميع على الأُصول .

وفق الله جميع العاملين بالحق لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

الفهرس

فاتحة القول ٥

المبحث الأول : المسلمون بين الاستقامة والانحراف ٩

١ـ حالة المسلمين في القرن الأخير ٩

٢ـ الفرقة والاختلاف بين العاملين بالإسلام ١٣

٣ـ نظرة فاحصة في طبيعة الاختلاف ١٤

٤ـ بناء الرسول صلى الله عليه وسلم الجيل

الرباني بدين الله ١٧

٥ـ أثر تطبيق المنهج القرآني النبوي على الإسلام وأهله........٢٣

٦ـ ماذا فعل النزاع والاختلاف بأمّة الإسلام ٢٣

٧ـ لم يصل الداء إلى الجذور ٢٩

٨ـ السائرون على المنهج الأمثل بقوا ظاهرين

على الحق عبر القرون ٣١

المبحث الثاني : الفَرقُ بين العقيدة وضوابط العقيدة ٣٥

المبحث الثالث : أصول السنة والجماعة
وضوابطهم في الاعتقاد. ٤٦
١ـ تحديد دائرة الإيمان ومعرفة أهله ٤٧
٢ـ الإيمان أصول وفروع ٤٨
٣ـ نصوص الوعيد عند أهل السنة ٤٩
٤ـ منهج أهل السنة والجماعة في
صفات الله وأسمائه ٥٠
٥ـ موقفهم من رؤية الله في الآخرة ٥١
٦ـ إيمانهم بالبرزخ واليوم الآخر ٥٢
٧ـ التصديق بالشفاعة في القيامة ٥٢
٨ـ الإيمان بالقدر ٥٢
٩ـ الإيمان بكرامات الأولياء ٥٣
١٠ـ تولي جميع صحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وآله الكرام ٥٣
١١ـ إنكار المنكر والجهاد في سبيل الله ٥٤
المبحث الرابع : المؤلفات في الاعتقاد على منهج
أهل السنة والجماعة. ٥٥
المبحث الخامس : خصائص منهج أهل السنة
والجماعة ومميزاته ٦٠

أولاً : إدراكهم حقيقة الهدف الذي يجب أن
يعنى به علماً وعملاً ٦٠
ثانياً : الاقتصار على الكتاب والسنة في
التعرف على الحق الذي يريده الله ٦١
ثالثاً : عدم التقديم بين يدي الله ورسوله ٦٣
رابعاً : اتباعهم للمنهج القرآني النبوي في العلم
والمعرفة ٦٧
خامساً : التوسط والاعتدال ٧٠
سادساً : الاتفاق على الحق والدعوة إلى الوحدة ٧٣
سابعاً : الحكم على الناس بالعدل ٧٤
ثامناً : أسلوب تناول العقيدة وطريقة الاستدلال ٧٥
خاتمة : الجماعات الإسلامية ليست فرقاً اعتقادية ٨١

مؤلفات صدرت حديثاً للدكتور عمر سليمان الأشقر

- حكم المشاركه في الوزارة والمجالس النيابية .
- معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية .
- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة .
- كيف تستعيد الأمة مكانتها من جديد .
- أهل السنة والجماعة .
- خيار الشرط في البيوع وتطبيقاتها في معاملات المصارف الاسلامية .
- تأليف القلوب بأموال الصدقات .
- الأضواء السنية على رافضي الاحتجاج بالسنة النبوية .

صدر حديثا عن دار النفائس

- رعاية الطفل قبل الولادة .

تأليف : إشلي مونتاجو

ترجمة : الأستاذ / عبد الرحيم صالح

- عوامل الانحراف الجنسي عند الشباب وطرق علاجها

تأليف : الاستاذ / عبد الرحيم صالح

- الوجيز في الميراث .

تأليف : الدكتور / عارف خليل أبو عيد

- رياض الصالحين ـ النووي .
- الأذكار ـ النووي .
- تطور لغة الطفل وتطبيقاتها .

تأليف : الاستاذ / عبد الرحيم صالح

- مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية .

تأليف : الدكتور / محمد عثمان شبير

- حكم المعارضة السياسية في الإسلام .

تأليف : الاستاذ / أحمد عبد الله العوضي

تـابع
صدر حديثا

- الجهاد أساليبه و ميادينه

تأليف : د.محمد نعيم ياسين

- الواضح في أحكام التجويد ـ مع أسئلة للمناقشة

تأليف : د.محمد حافظ الشريدة

- ثلاث رسائل في الجهاد – لابن تيمية

تحقيق : ابراهيم العلي – محمد ابو صعليك

- الصهيونية نشأتها – تنظيماتها

تأليف : الأستاذ احمد العوضي

- صحيح الأدعية والأذكار

تأليف : د.محمد حافظ الشريدة

- إزابيل القميص العتيق

التعريف بالكتاب

الجديد في هذا الكتاب أنه بقلم أحد أبناء الذين أزالوا حكم المسلمين في الأندلس يتحدث فيه عن الأيام الأخيرة لوجود المسلمين في تلك الديار .

وعلى الرغم من السم الزعاف الذي ينضح من كلامه إلا أن الحقيقة تلوح في مواطن من كتابه لتكشف لنا صوراً من المأساة التي دمرت الكيان الإسلامي وأزهقته .

إن صورة المأساة في الأندلس ينبغي أن تبرز في هذه الأيام أمام الحكام المسلمين والشعوب الإسلامية حتى لا تتكرر تلك المأساة في ديارنا مرة أخرى .

الناشر